قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية

مجلة البحوث والدراسات الاسلامية

الصفحة الرئيسية للمجلة:https://djisrs.dws.gov.iq

الخلاف الفكري في ضوء القرآن الكريم بين التنوع المعرفي ووحدة الأمة: دراسة تأصيلية

Intellectual Disagreement in the Light of the Holy Quran: Between Cognitive Diversity and the Unity of the Ummah – A Foundational Study

م.د أحمد اسماعيل فتحي*

مكان العمل

المديرية العامة لتربية صلاح الدين

Keywords

Intellectual Disagreement
Conflict Management
The Holy Qur'an
Dialogue
Unity of the Ummah
Intellectual Diversity

Abstract

This research aims to elucidate the Quranic approach to managing intellectual disagreement and to uncover the epistemological, ethical, and practical foundations established by the Holy Quran for regulating and guiding disagreement in a way that achieves common interests and preserves societal unity. It stems from the central question of how the Holy Quran addresses intellectual disagreement, and the principles and methods it employs to manage it while maintaining a balance between respecting intellectual diversity and preserving the unity of the Muslim community. The researcher adopted an inductive approach to examine the Quranic verses relevant to the study topic and an analytical approach to deduce their meanings and extract the principles and rules governing disagreement management contained within them.

The research concluded that intellectual disagreement represents a universal law that the Holy Qur'an has acknowledged and dealt with as a reality inherent to human nature, while distinguishing between legitimate disagreement based on diligence and the pursuit of truth, and illegitimate disagreement based on fanaticism, transgression, and following desires. It also found that managing intellectual disagreement in the Holy Qur'an is based on fundamental principles, the most prominent of which are: reference to revelation, justice and fairness, dialogue, and preserving the unity of the nation, as well as practical means represented by verifying information, referring to people of knowledge and experience, and adopting consultation in addressing common issues. The research concluded that the Qur'anic approach has an effective ability to address all contemporary intellectual problems and contribute to building a culture of dialogue, coexistence, and civilizational integration.

* **M.D. Ahmed Ismail Fathy**

Ala147ahmar@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ المقال:
الإرسال:
المراجعة:
القبول: ٢٠٢٦/٦/١

الكلمات المفتاحية:
الخلاف الفكري، إدارة الخلاف، القرآن الكريم، الحوار، وحدة الأمة، التنوع الفكري.

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى بيان المنهج القرآني في إدارة الخلاف الفكري والكشف عن الأسس المعرفية والأخلاقية والعملية التي قررها القرآن الكريم لتنظيم الخلاف وترشيده بما يحقق المصالح ويحفظ وحدة المجتمع، منطلقًا من إشكالية تتمثل في كيفية معالجة القرآن الكريم للخلاف الفكري، والمبادئ والوسائل التي اعتمدها لإدارته في ظل التوازن بين احترام التنوع الفكري والمحافظة على وحدة الأمة، وقد اعتمد الباحث المنهج الاستقرائي في تتبع الآيات القرآنية ذات الصلة بموضوع الدراسة، والمنهج التحليلي في استنباط دلالاتها واستخراج ما تتضمنه من مبادئ وقواعد حاكمة لإدارة الخلاف.

وتوصل البحث إلى أنَّ الخلاف الفكري يمثل سنة كونيةً أقرها القرآن الكريم وتعامل معها بوصفها واقعًا ملازمًا لطبيعة البشر، مع التمييز بين الخلاف المشروع القائم على الاجتهاد وطلب الحق، والخلاف غير المشروع القائم على التعصب والبغي واتباع الهوى، وأنَّ إدارة الخلاف الفكري في القرآن الكريم تقوم على مبادئ أساسية، من أبرزها: المرجعية إلى الوحي، والعدل والإنصاف، والحوار، والمحافظة على وحدة الأمة، فضلًا عن وسائل عملية تتمثل في التثبت من المعلومات، والرجوع إلى أهل العلم والخبرة، واعتماد الشورى في معالجة القضايا المشتركة، وأنَّ المنهج القرآني يمتلك قدرة فاعلة على معالجة كلِّ الإشكالات الفكرية المعاصرة، والإسهام في بناء ثقافة الحوار والتعايش والتكامل الحضاري.

١.الفصل الأول

أهمية البحث

تأتي أهمية البحث من معالجته لقضية فكرية من أبرز قضايا الواقع المعاصر، وهي الخلاف الفكري وآليات إدارته في ضوء القرآن الكريم، وقد ازدادت أهمية هذه القضية في ظل تنامي مظاهر الاستقطاب والتعصب الفكري وما يترتب عليها من انقسام وتنازع يضعف التماسك المجتمعي، فجاء البحث لتعزيز ثقافة الحوار والتعايش واحترام التنوع المشروع.

إشكالية البحث

ينطلق هذا البحث من ملاحظة اتساع دائرة الخلافات الفكرية في المجتمعات المعاصرة وما ترتب عليها من آثار سلبية على الوعي الفردي والتماسك المجتمعي، الأمر الذي يثير تساؤلاتٍ رئيسة تتمثل في:

١. ما المنهج الذي قرره القرآن الكريم لإدارة الخلاف الفكري؟
٢. ما مفهوم الخلاف الفكري في ضوء القرآن الكريم؟
٣. ما أنواع الخلاف الفكري التي عرضها القرآن الكريم، وما موقفه منها؟
٤. ما المبادئ القرآنية الحاكمة لإدارة الخلاف الفكري؟
٥. ما الوسائل التي اعتمدها القرآن الكريم في ترشيد الخلاف وضبط آثاره؟
٦. كيف عالج القرآن الكريم ظاهرة الخلاف الفكري بين الأفراد والجماعات؟
٧. ما إمكانات الإفادة من المنهج القرآني في مواجهة الإشكالات الفكرية المعاصرة وتحقيق التوازن بين وحدة الأمة والتنوع الفكري المشروع؟

فرضية البحث

يقوم البحث على فرضية مفادها أن القرآن الكريم قدَّم منهجًا متكاملًا لإدارة الخلاف الفكري يجمع بين الأبعاد المعرفية والأخلاقية والعملية، ويقوم على مبادئ ووسائل تسهم في تنظيم الخلاف وترشيده بما يحفظ وحدة المجتمع ويصون حق الاختلاف المشروع، كما تفترض الدراسة أن تفعيل هذا المنهج القرآني يسهم في الحد من مظاهر الاستقطاب والتعصب الفكري ومعالجة كثير من الأزمات الفكرية المعاصرة.

أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١. تأصيل مفهوم الخلاف الفكري في ضوء القرآن الكريم.

٢. الكشف عن أنواع الخلاف الفكري التي تناولها القرآن الكريم وبيان موقفه منها.

٣. استنباط المبادئ القرآنية الحاكمة لإدارة الخلاف الفكري.

٤. بيان الوسائل القرآنية المعتمدة في ترشيد الخلاف والحد من آثاره السلبية.

٥. إبراز التطبيقات المعاصرة للمنهج القرآني في معالجة القضايا الفكرية.

٦. الإسهام في تعزيز ثقافة الحوار والتسامح واحترام التنوع الفكري المشروع.

منهج البحث

اعتمد البحث المنهج الاستقرائي من خلال تتبع الآيات القرآنية المتعلقة بالخلاف الفكري وجمعها واستقراء دلالاتها، كما اعتمد المنهج التحليلي في دراسة النصوص القرآنية واستنباط ما تتضمنه من أسس ومبادئ ووسائل لإدارة الخلاف الفكري، فضلًا عن الإفادة من المنهج الوصفي في عرض التطبيقات المعاصرة المرتبطة بموضوع الدراسة.

خطة البحث

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فإنَّ الخلاف الفكري من الظواهر الملازمة للحياة الإنسانية، إذ يرتبط بطبيعة البشر واختلاف مداركهم وتفاوت قدراتهم العقلية وتنوع مناهجهم في النظر والاستدلال، وقد شهدت المجتمعات الإنسانية عبر تاريخها صورًا متعددة من الخلافات الفكرية التي تركت آثارًا متفاوتة في بنية المجتمعات واستقرارها، فكان بعضها عاملًا للإثراء المعرفي والتجديد الحضاري، في حين تحول بعضها الآخر إلى سبب للتنازع والانقسام والصراع، ولمَّا كان القرآن الكريم كتاب هداية وإصلاح وبناء حضاري، فقد تناول قضية الخلاف بمختلف صورها، ووضع جملة من المبادئ والوسائل التي تكفل إدارته إدارة رشيدة تحقق المصالح وتدرأ المفاسد وتحافظ على وحدة المجتمع مع احترام التنوع المشروع، لذلك كانت أهمية دراسة الخلاف الفكري في ضوء القرآن الكريم بالغةً للكشف عن المنهج القرآني في التعامل مع هذه الظاهرة والإفادة منه في معالجة الإشكالات الفكرية المعاصرة.

٢.المبحث الأول: التأصيل المفاهيمي للخلاف الفكري في القرآن الكريم

٢.١.المطلب الأول: مفهوم الخلاف الفكري وأبعاده المعرفية

يُعَد الفكر من أبرز النعم التي امتنَّ الله تعالى بها على الإنسان، إذ جعله أساس التكليف ومناط المسؤولية، وبه يتمكن الإنسان من إدراك الحقائق والتمييز بين الصواب والخطأ، واستيعاب ما يحيط به من ظواهر وقضايا، وتدل المادة اللغوية لكلمة «فكر» على تردد القَلب فى الشَّيء[١] إعمال العقل والنظر والتأمل بقصد الوصول إلى معرفة مجهول أو الكشف عن حقيقة من الحقائق[٢]، وهو ما يعكس الطبيعة الديناميكية للفكر بوصفه نشاطًا عقليًا متجددًا يسعى إلى توسيع دائرة المعرفة وتطوير الفهم الإنساني.

وقد أولى القرآن الكريم هذه الوظيفة العقلية عناية كبيرة، فتنوعت آياته الداعية إلى التفكر والتدبر والنظر والاعتبار، بما يؤكد أن بناء الوعي الرشيد لا يتحقق إلا من خلال عقل متأمل قادر على الفهم والاستنباط والنقد الموضوعي.

والفكر في المفهوم القرآني لا يُنظر إليه بوصفه عملية ذهنية مجردة، وإنما باعتباره وسيلة للهداية واكتشاف الحقائق وبناء المواقف السليمة تجاه مختلف القضايا التي تواجه الإنسان في حياته الفردية والاجتماعية.

ولمَّا كان الفكر يمثل الإطار الذي تتشكل في ضوئه التصورات والقناعات والأحكام، فاختلاف الناس في أفكارهم وآرائهم يعد نتيجة طبيعية لتفاوت قدراتهم العقلية واختلاف بيئاتهم الثقافية ومناهجهم في الفهم والاستدلال، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة إذ قرر أنَّ الاختلاف سنة جارية في حياة البشر، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[٣]، فالتنوع في الرؤى والتصورات ليس أمرًا طارئًا على الحياة الإنسانية؛ بل هو جزء من طبيعة الاجتماع البشري الذي اقتضته حكمة الله تعالى، غير أنَّ هذا الاختلاف لا يمثل في ذاته إشكالية أو مصدرًا للاضطراب، وإنما تتحدد آثاره الإيجابية أو السلبية بحسب طبيعة التعامل معه والضوابط التي تحكم مساراته داخل المجتمع[٤].

ويمكن تعريف الخلاف الفكري بأنَّه: التباين في الآراء والتصورات والمواقف الناتج عن اختلاف مناهج الفهم والاستدلال وطرائق النظر إلى القضايا العقدية والثقافية

(١) معجم مقاييس اللغة، ٤/ ٤٤٦، مادة: (فكر).

(٢) ينظر: التعريفات الفقهية، ١٦٧.

(٣) سورة هود، جزء من الآية، ١١٨.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٤٨٤.

والاجتماعية، ويرتبط بالبنية المعرفية التي تشكل رؤية الإنسان للكون والحياة والإنسان(١)، مما يمنحه أثرًا واضحًا في توجيه السلوك الفردي والجماعي وصياغة المواقف المختلفة.

ولم يقتصر اهتمام القرآن الكريم على معالجة مظاهر الخلاف الفكري ونتائجه؛ بل عالج أسبابه وجذوره من خلال تأسيس منهج معرفي يقوم على طلب الحقيقة والاحتكام إلى الدليل والتجرد من الأهواء واحترام الكرامة الإنسانية، بما يضمن بقاء الخلاف ضمن حدوده المشروعة ويحول دون تحوله إلى وسيلة للتنازع والانقسام(٢).

ولا يقتصر الخلاف الفكري على المسائل العقدية والدينية؛ بل امتدَّ ليشمل مختلف القضايا المرتبطة بفهم الواقع وتحليل مشكلاته، لذلك برزت أهمية التمييز بين الخلاف القائم على التنوع الفكري والاجتهاد المشروع، والخلاف الذي يتحول إلى أداة للتعصب والإقصاء؛ لأنَّ هذا التمييز يمثل أساس الرؤية القرآنية في إدارة الخلاف الفكري وتحقيق التوازن بين وحدة المجتمع واحترام التنوع المشروع.

٢.٢.المطلب الثاني: مفهوم الخلاف الفكري وتمييزه عن المفاهيم المتقاربة

الخلاف الفكري ظاهرةٌ من الظواهر الملازمة للاجتماع الإنساني؛ إذ ينشأ عن تفاوت القدرات العقلية وتباين الخبرات واختلاف مناهج الفهم والاستدلال، وقد أقرَّ القرآن الكريم هذه الحقيقة بوصفها سنة من سنن الحياة البشرية، ووضع الضوابط التي تكفل توجيهها نحو البناء والإصلاح بدلًا من الصراع والانقسام(٣).

ويرتبط الخلاف الفكري بعدد من المفاهيم المتقاربة التي ينبغي التمييز بينها، فالاختلاف أعمُّ من الخلاف؛ إذ يدل على مطلق التنوع والتباين بين الناس، وقد استعمله القرآن الكريم في سياقات تدل على التنوع المشروع، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾(٤)، بينما يمثل الخلاف صورة خاصة من صور الاختلاف تتعلق بتباين المواقف والاجتهادات تجاه قضية معينة(٥).

كما يتباين الخلاف عن التنازع والتفرق؛ فالتنازع يمثل الحالة التي يتحول فيها

(١) ينظر: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ١/ ٨٢.

(٢) ينظر: أصول الدعوة الإسلامية، ٩٨.

(٣) ينظر: الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، ٢٥.

(٤) سورة الروم، جزء من الآية ٢٢.

(٥) ينظر: أدب الاختلاف في الإسلام، ٢٠.

الخلاف إلى صراع يفضي إلى الفشل والتفكك[١]، ولذلك نهى القرآن الكريم عنه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[٢]، أما التفرق فهو أحد المآلات السلبية للخلاف عندما يدار بعيدًا عن الحق والعدل، ولهذا ذمه القرآن الكريم وربطه بمفارقة منهج الهداية[٣].

وللجدل صلة بمفهوم الخلاف من حيث كونه وسيلة للتعبير عنه، غير أنَّه لا يمثل الخلاف ذاته؛ فالخلاف يتعلق بمضمون القضية محل التباين، أمَّا الجدل فيتعلق بطريقة عرض الآراء ومناقشة الحجج، ولذلك ميّز القرآن الكريم بين الجدل المحمود القائم على الحكمة وطلب الحق، والجدل المذموم القائم على الهوى والخصومة[٤]، قال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٥].

يتبين مما سبق أنَّ الخلاف الفكري مفهوم مستقل عن المفاهيم المتقاربة معه، وأنَّ إدراك هذه الفروق يمثل أساسًا لفهم طبيعته وتحديد الموقف الشرعي منه، بما يحقق التوازن بين احترام التنوع الفكري والمحافظة على وحدة المجتمع.

(١) ينظر: لسان العرب، ٨/ ٣٤٩، مادة: (نزع).
(٢) سورة الأنفال، جزء من الآية ٤٦.
(٣) ينظر: لسان العرب، ٣/ ٣٠٧، مادة: (فرق).
(٤) ينظر: التعريفات، ٧٤.
(٥) سورة النحل، جزء من الآية ٢٥.

المطلب الثالث: أنواع الخلاف الفكري وسُنِّيته وحكمته في القرآن الكريم

إنَّ الاستقراء الدقيق للنصوص القرآنية يظهر لنا أن القرآن الكريم لا ينظر إلى الخلاف الفكري نظرة واحدة؛ بل يميز بين الخلاف المشروع والخلاف غير المشروع تبعًا لأسبابه ونتائجه وآثاره.

فالخلاف المشروع هو ما ينشأ عن الاجتهاد وطلب الحق وتفاوت المدارك في المسائل التي تحتمل أكثر من وجه للنظر، دون أن يكون الباعث عليه التعصب أو الهوى، ويمثل هذا النوع صورة من صور التنوع الفكري الذي يسهم في إثراء المعرفة وتوسيع آفاق الاجتهاد، ويعكس الطبيعة الإنسانية القائمة على تفاوت الفهم والإدراك، ويمكن تسميته باختلاف التّنوع[٦].

أما الخلاف غير المشروع فهو الذي ينشأ عن البغي أو التعصب أو اتباع الأهواء وتقديم المصالح الخاصة على مقتضيات الحق والعدل، وقد ذم القرآن الكريم هذا اللون من الخلاف، وربطه بدوافع أخلاقية فاسدة تتجاوز مجرد التباين في الرأي، قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا

(٦) ينظر: الموافقات، ٥/ ٢٠٩.

مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾[١]، ويمكن تسميته باختلاف التضاد[٢].

ويستند هذا التمييز إلى جملة من الضوابط، أهمها سلامة القصد، والاحتكام إلى الدليل، والالتزام بالعدل والإنصاف، واحترام المخالف، والمحافظة على وحدة الجماعة، لذلك فإنَّ معيار المشروعية لا يقوم على مجرد وجود التباين في الرأي، وإنَّما على طبيعة الدوافع والآثار المترتبة عليه[٣].

ويقرر القرآن الكريم أن الخلاف الفكري سنة من سنن الوجود البشري؛ إذ اقتضت حكمة الله تعالى تفاوت الناس في المدارك والاستعدادات، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[٤]، ولذلك لم يتجه المنهج القرآني إلى إلغاء الخلاف؛ بل إلى تنظيمه وترشيده بما يمنع تحوله إلى سبب للتنازع والانقسام.

وترتبط سنيَّة الخلاف كذلك بسنة الابتلاء والتدافع؛ إذ يشكل تنوع الآراء والاجتهادات ميدانًا لاختبار التزام الإنسان بالحق والعدل، كما يسهم في منع الاستبداد الفكري وإثراء المعرفة وتجديد الاجتهاد، لذلك فإنَّ القرآن الكريم لا ينظر إلى الخلاف بوصفه خطرًا في ذاته، وإنَّما إلى سوء إدارته بوصفه الخطر الحقيقي الذي يهدد وحدة الأمة ويعطل دورها الحضاري[٥].

وبذلك يتبين أنَّ الرؤية القرآنية للخلاف الفكري تقوم على الإقرار بوجوده بوصفه سنة إنسانية، مع التمييز بين صوره المشروعة وغير المشروعة، وإخضاعه لمنظومة من القيم والضوابط التي تجعل منه عامل بناء وإصلاح بدلًا من أن يكون سببًا للفرقة والتنازع.

٣.المبحث الثاني: المبادئ القرآنية في إدارة الخلاف الفكري

١.٣.المطلب الأول: مبدأ المرجعية إلى الوحي في حسم الخلاف الفكري

يعد مبدأ المرجعية إلى الوحي من أهم الأسس التي قام عليها المنهج القرآني في إدارة الخلاف الفكري؛ إذ إن تعدد الآراء وتنوع الاجتهادات لا يمكن أن يتحول إلى عامل بناء وإصلاح ما لم توجد مرجعية عليا يحتكم إليها عند التنازع وترد إليها القضايا المختلف فيها، ولذلك جاء القرآن الكريم ليقرر أنَّ الوحي يمثل الميزان الذي توزن به الأقوال والأفكار والمواقف، فلا يكون الرأي معتبرًا لمجرد صدوره عن فرد أو جماعة، وإنما بقدر موافقته للحق الذي جاء به

(١) سورة آل عمران، جزء من الآية ١٩.
(٢) ينظر: الموافقات، ٥/ ٢٠٩.
(٣) ينظر: أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، ٢٢.
(٤) سورة هود، جزء من الآية ١١٨.
(٥) ينظر: أدب الاختلاف في الإسلام، ٩٨.

الوحي[١]، وقد عبر القرآن الكريم عن هذا الأصل بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[٢]، وهي قاعدة منهجية تؤسس لضبط الخلاف ومنع تحوله إلى صراع مفتوح تحكمه الأهواء والمصالح المتعارضة[٣].

وتتجاوز دلالة الآية مجرد بيان الحكم الشرعي في المسائل المتنازع عليها؛ لتؤسس لرؤية معرفية متكاملة تجعل الحقيقة مرتبطة بالدليل لا بالأشخاص، وتجعل الاحتكام إلى المرجعية المشتركة شرطًا للحفاظ على وحدة الجماعة واستمرارها؛ لذلك لم يعرف التاريخ الإسلامي في عصوره الزاهرة سلطة فكرية مطلقة تحتكر الحقيقة أو تمنع الاجتهاد؛ بل كان الاحتكام إلى الوحي يمثل الإطار الجامع الذي تتحرك داخله الاجتهادات المختلفة[٤]، وقد أسهم هذا المنهج في الجمع بين وحدة المرجعية وتعدد الاجتهادات، وهو ما أتاح للحضارة الإسلامية أن تستوعب تنوعًا واسعًا في المدارس الفقهية والفكرية دون أن تفقد وحدتها العقدية والحضارية[٥].

وتبرز أهمية هذا المبدأ في الواقع المعاصر في ظل تعدد المرجعيات الفكرية وتنافسها؛ إذ إنَّ كثيرًا من الخلافات أصبحت تنشأ بسبب اختلاف المصادر التي يستمد منها الحكم أو الموقف أو الرؤية[٦]، ومن ثم ثم فإن إعادة بناء الثقافة الفكرية على أساس المرجعية المشتركة لا يعني إلغاء الاجتهاد أو تقييد حرية التفكير، وإنَّما يعني إيجاد أرضية جامعة تحتكم إليها الآراء المختلفة عند التنازع، وبهذا يتحول الوحي من مجرد مصدر للمعرفة الدينية إلى إطار منهجي يسهم في تنظيم الحوار الفكري وترشيد الاختلافات وتوجيهها نحو تحقيق المصلحة العامة وصيانة وحدة الأمة[٧].

٢.٣.المطلب الثاني: مبدأ العدل والإنصاف مع المخالف

يُعدّ العدل من أهم المبادئ التي يقوم عليها المنهج القرآني في إدارة الخلاف الفكري؛ إذ يضمن التعامل مع الآراء والمواقف بموضوعية وإنصاف بعيدًا عن التحيز والهوى[٨]، وقد أكدَّ القرآن هذا الأصل بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ

(١) ينظر: في النظام السياسي للدولة الإسلامية، ١٤٣-١٤٦.

(٢) سورة النساء، جزء من الآية ٥٩.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ٥/ ٩٨.

(٤) ينظر: الشاطبي، الموافقات، ٤/٢٩٣-٢٩٤.

(٥) ينظر: الإسلام والتعددية، ٦٠.

(٦) ينظر: صناعة الفتوى وفقه الأقليات، ٤٤.

(٧) الأمة والجماعة والسلطة، ١١٦.

(٨) فقه التدين فهماً وتنزيلاً، ١٣٤.

لِلتَّقْوَى﴾[١] وتدل الآية على أنَّ العدل قيمة ثابتة لا يجوز التفريط بها بسبب الخلاف أو الخصومة، مما يجعل الحكم على الأفكار قائمًا على الدليل والبرهان لا على مشاعر القبول أو الرفض تجاه أصحابها[٢].

ويتبين بوضوحٍ أثر هذا المبدأ في أن القرآن الكريم أباح مناقشة الآراء المخالفة ونقدها، لكنَّه نهى عن الظلم والتشويه وتحريف أقوال المخالفين، ولذلك اعتمد المنهج القرآني على عرض الآراء عرضًا أمينًا قبل مناقشتها والرد عليها، مما يؤسس للدِّقة العلمية في إدارة الخلاف الفكري[٣]، فالإنصاف لا يقتصر على إتاحة حق التعبير للمخالف؛ بل يشمل فهم رأيه فهمًا صحيحًا وتمثيله بدقة قبل الحكم عليه أو نقده؛ لأنَّ تحميل الأقوال ما لا تحتمل أو اجتزائها من سياقها يتنافى مع العدل الذي أمر الله تعالى به[٤].

وتتأكد أهمية العدل والإنصاف في الواقع المعاصر؛ في ظل تصاعد الخطابات الإقصائية؛ وسرعة إصدار الأحكام عبر وسائل الإعلام ومنصات التواصل الاجتماعي؛ إذ بات كثير من الخلاف الفكري يدار بمنطق التخوين والتصنيف؛ بدلًا من الحوار الموضوعي والإنصاف العلمي؛ وقد أسهم ذلك في تعميق الانقسامات الفكرية؛ وإضعاف فرص التفاهم والتقارب بين الاتجاهات المختلفة؛ ومن ثم فإن استعادة المبدأ القرآني القائم على العدل والإنصاف تمثل ضرورة فكرية وأخلاقية؛ تسهم في تعزيز ثقافة الحوار؛ واحترام التنوع؛ وتهيئة بيئة أكثر قدرة على إدارة الخلاف بصورة راشدة؛ دون إخلال بالثوابت الشرعية أو تفريط بالحقائق العلمية[٥].

٣.٣.المطلب الثالث: مبدأ الحوار والبحث عن الحقيقة

يحتل الحوار مكانة مركزية في المنهج القرآني لإدارة الخلاف الفكري، إذ يمثل الوسيلة الأكثر فاعلية في تقريب وجهات النظر وكشف مواطن الاتفاق والخلاف والوصول إلى الحقائق بعيدًا عن أساليب الإكراه أو الإقصاء، وقد زخرت آيات القرآن الكريم بنماذج متنوعة من الحوارات التي دارت بين الأنبياء وأقوامهم؛ وبين المؤمنين وغيرهم، مما يدل على أنَّ الحوار في التصور القرآني ليس مجرد وسيلة لعرض الأفكار؛ بل منهج متكامل لتنظيم التباين

(١) سورة المائدة جزء من الآية ٨.
(٢) مفاتيح الغيب، ٢١١/١١.
(٣) الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، ٩٥.
(٤) التحرير والتنوير، ٦/ ١٢١.
(٥) ينظر: الحوار أصوله ومناهجه وآدابه، ١١٥.

الفكري وضبطه[١]، وقد أرشد القرآن إلى هذا المنهج بقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٢]، فالآية تؤسس لأدب الحوار القائم على الحكمة، وحسن الخطاب، واحترام المخالف، وتؤكد أن الغاية من الحوار ليست الانتصار للرأي أو للنفس، وإنَّما الوصول إلى الحق وإقامة الحجة[٣].

ويتسم الحوار في المنهج القرآني بالاعتراف بالمخالف واحترام حقه في إبداء رأيه، مهما بلغ حجم الاختلاف في العقيدة أو الفكر أو الموقف، ولذلك يعرض القرآن الكريم أقوال المخالفين وشبهاتهم ومواقفهم عرضًا دقيقًا وأمينًا قبل مناقشتها والرد عليها؛ مما يدل على قوة هذا المنهج بما يستند إليه من حقائق وبراهين[٤]، كما يركز الحوار القرآني على تقويم الأفكار ومناقشتها وفق الأدلة والمعايير الموضوعية، دون الانطلاق من اتهام المخالف في نيته أو قصده، الأمر الذي يسهم في تهدئة الخلافات الفكرية ويفتح المجال لمراجعة الآراء وتصحيح الأخطاء بعيدًا عن التعصب والانفعال[٥].

وفي ظل المتغيرات الفكرية والثقافية المتسارعة في العالم المعاصر، تزداد الحاجة إلى ترسيخ ثقافة الحوار بوصفها وسيلة فاعلة لإدارة الخلافات الفكرية والتعامل معها بصورة إيجابية، فغياب الحوار يؤدي غالبًا إلى تنامي الانقسام والاستقطاب، في حين يسهم في تعزيز التفاهم وبناء الثقة وإبراز القواسم المشتركة بين المختلفين[٦]، فلذلك يعد الحوار في التصور القرآني ضرورة حضارية وأداة إصلاحية تسهم في حفظ تماسك المجتمع وتوجيه الخلاف نحو البناء والتطوير بدلًا من الصراع والتفكك[٧].

٤.٣.المطلب الرابع: مبدأ المحافظة على وحدة الأمة واحترام التنوع المشروع

إنَّ المتأملَ في المنهج القرآني في إدارة الخلاف الفكري يرى بعين البصيرةِ تحقيقَ التوازن بين المحافظة على وحدة الأمة وإقرار التنوع المشروع في الآراء والاجتهادات؛ إذ لا يجعل الوحدة مرهونة بتطابق الأفكار، ولا يعد الاختلاف مبررًا للفرقة والتنازع؛ بل ينظم العلاقة بينهما في

(١) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ٦٥.
(٢) سورة النحل، جزء من الآية ١٢٥.
(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٠/ ٢٠٠.
(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ٣٣٥/١٤.
(٥) ينظر: حوار لا مواجهة، ٥٧.
(٦) ينظر: الثورة والإصلاح السياسي في العالم الإسلامي، ١٤٥.
(٧) ينظر: الأمة والجماعة والسلطة، ١٣٠.

إطار من التكامل والاعتدال(١)، ولذلك أكد القرآن الكريم مبدأ الأخوة الإيمانية الجامعة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(٢)، وجعل الإصلاح بين المتنازعين واجبًا شرعيًا لحفظ وحدة المجتمع وصيانته من آثار الخلاف والانقسام(٣).

ويظهر التاريخ الفكري للأمة الإسلامية أن تعدد الاجتهادات والمدارس العلمية لم يكن سببًا في إضعاف وحدتها؛ بل أسهم في إثراء معارفها وتوسيع آفاقها العلمية، فقد تعايشت اتجاهات فقهية وفكرية متنوعة ضمن إطار الأمة الواحدة، وأنتجت تراثًا علميًا ثريًا دون أن يؤدي ذلك إلى القطيعة أو الإقصاء وهذا يدل على أنَّ الإشكال لا يكمن في وجود التعدد ذاته، وإنَّما في غياب لضوابط التي تنظمه وتمنع تحوله إلى نزاع يهدد وحدة المجتمع ومصالحه(٤)، فالحفاظ على وحدة الأمة لا يقتضي إلغاء الاختلاف أو توحيد الآراء؛ بل يقوم على تعزيز التعاون والتكامل في إطار القواسم المشتركة مع بقاء التنوع المشروع في الاجتهادات والآراء(٥).

وتزداد أهمية المحافظة على وحدة الأمة وتماسكها ما دام الخلاف مشروعًا في العصر الحاضر مع تنامي الانقسامات الفكرية والمذهبية والسياسية وتصاعد النزعات الهوياتية؛ إذ إنَّ ضعف الروابط المشتركة وتراجع ثقافة التعاون يسهمان في تحويل الخلافات الفكرية إلى صراعات مجتمعية تهدد الاستقرار والتماسك(٦)، ولذلك ولذلك نجد في القرآن الكريم منهجًا متوازنًا يجعل وحدة الأمة مقصدًا رئيسًا، ويعتبر التنوع المشروع عاملًا داعمًا لهذه الوحدة لا مناقضًا لها، بما يسهم في بناء مجتمع قادر على استيعاب الاختلاف والمحافظة على تلاحمه واستقراره(٧).

٤.المبحث الثالث: الوسائل القرآنية في إدارة الخلاف الفكري

المبادئ القرآنية هي الأساس النظري الذي تستند إليه إدارة الخلاف الفكري، ولذلك فإنَّ فاعليتها لا تكتمل إلا من خلال وسائل وآليات عملية تُترجم هذه المبادئ إلى واقع تطبيقي، فنجد التنوع القرآني في عرض الأدوات والأساليب التي تسهم في تنظيم الخلاف وترشيده، وتوجيهه نحو تحقيق

(١) ينظر: مشاهد من المقاصد، ١٧٥.
(٢) سورة الحجرات، جزء من الآية ١٠.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٦/ ٢٤٩.
(٤) ينظر: أزمة التنظيمات الإسلامية، ٩٢.
(٥) ينظر: الموافقات، ١٩٧/٤.
(٦) ينظر: إدارة الاختلاف في الفكر الإسلامي، ٧٩.
(٧) ينظر: دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين بين المسلمين، ٤٩.

الإصلاح والبناء، بما يمنع تحوله إلى مصدر للنزاع والتفرقة والانقسام، وسنبين ذلك فيما يأتي:

١.٤.المطلب الأول: الحوار وسيلة لإدارة الخلاف الفكري

يحتل الحوار مكانة محورية في المنهج القرآني لمعالجة الخلافات الفكرية؛ إذ جعله القرآن الكريم وسيلة أساسية للتواصل بين المختلفين وتقريب وجهات النظر والكشف عن مواطن الحق والخطأ.

والمتأمل في القصص القرآني يلحظ بوضوحٍ أنَّ الحوار كان من أبرز الأساليب التي اعتمدها الأنبياء عليهم السلام في دعوة أقوامهم، إذ خاطبوهم بالحجة والبرهان والمناقشة الهادئة رغم ما كان بينهم من تباين عقدي وفكري عميق(١)، وقد وجَّه القرآن الكريم إلى هذا المنهج بقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٢) [النحل: ١٢٥]، تأكيدًا على أن معالجة الخلاف لا تكون بالتعنيف أو الإقصاء، وإنَّما بالحكمة والرفق وقوة الدليل وحسن البيان، ويعكس هذا التوجيه القرآني الثقة بقدرة الحجة على التأثير في العقول والنفوس، كما يجسد احترام الإسلام لكرامة الإنسان وعقله، حتى عند الاختلاف معه في المعتقد أو الرأي(٣).

وتتجلى أهمية الحوار في الواقع المعاصر في ظل اتساع دوائر الخلاف الفكري وتعدد المنابر التي تتشكل من خلالها الاتجاهات والآراء؛ إذ إن غياب الحوار يفتح المجال أمام انتشار الصور النمطية والأحكام المسبقة ويؤدي إلى تعميق الفجوات بين المكونات الفكرية المختلفة(٤)، لذلك فإنَّ استعادة ثقافة الحوار القرآني تمثل ضرورة فكرية وحضارية تسهم في تعزيز التفاهم وإيجاد مساحات مشتركة للتعاون والعمل المشترك رغم استمرار بعض أوجه التباين والاختلاف(٥).

٢.٤.المطلب الثاني: التثبت من المعلومات والأحكام

التثبت في الأخبار والأحكام من أبرز الوسائل التي أرشد إليها القرآن الكريم للحد من النزاعات الفكرية ومعالجة أسبابها؛ إذ إنَّ كثيرًا من الخلافات تنشأ نتيجة معلومات غير موثوقة أو أحكام متعجلة أو تصورات خاطئة عن الآخرين، لا بسبب اختلاف حقيقي في الأفكار والمواقف(٦)، لذلك قرر القرآن

(١) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ٦٩.

(٢) سورة النحل، جزء من الآية ١٢٥.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ١٤/ ٣٤٠.

(٤) ينظر: حوار لا مواجهة، ٦٦.

(٥) ينظر: الحوار أصوله ومناهجه وآدابه، ٨٩.

(٦) ينظر: مشاهد من المقاصد، ٢٠٥.

الكريم أصلًا مهمًا في التعامل مع الأخبار بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾(١)، مؤسسًا بذلك منهجًا يقوم على التحقق والتثبت قبل تبني المواقف أو إصدار الأحكام، ولا تقتصر أهمية هذا المنهج على العلاقات الاجتماعية؛ بل تمتد إلى مختلف القضايا الفكرية والثقافية التي تتطلب الدقة والموضوعية والبعد عن التسرع وسوء الفهم(٢).

وتتجلى أهمية التثبُّت بصورة واضحة جلية في العصر الرقمي، الذي تنتشر فيه الأخبار والمعلومات بسرعة كبيرة عبر وسائل الإعلام ومنصات التواصل الاجتماعي، الأمر الذي يزيد من فرص تداول الشائعات والمعلومات غير الدقيقة(٣)، ومن ثمَّ أصبح التثبت من المعلومات ضرورة ملحة وأحد أهم وسائل إدارة الخلاف الفكري؛ لأنَّه يحول دون بناء المواقف والأحكام على تصورات خاطئة أو معلومات مضللة، ويسهم في الحد من ردود الأفعال المتسرعة والانفعالات التي قد تؤدي إلى نزاعات فكرية تفتقر إلى الأسس العلمية والموضوعية(٤).

٣.٤.المطلب الثالث: الرجوع إلى أهل العلم والخبرة

بيَّن القرآن الكريم أن القضايا الفكرية والمعرفية تختلف في درجاتها وتعقيدها، وأن بعض المسائل لا يمكن الإحاطة بها أو الحكم عليها بصورة صحيحة إلا من خلال أهل العلم والخبرة، فوجَّه إلى الرجوع للمختصين عند وقوع الإشكال أو بروز الخلاف(٥)، قال قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٦)، وهذا التوجيه القرآني يرشدنا لقاعدة راسخة تقضي بردِّ المسائل إلى أصحاب المعرفة والاختصاص، وعدم بناء المواقف والأحكام على الجهل أو الظنون، وهو أمرٌ لا يقتصر على الأحكام الشرعية فحسب؛ بل يمتد ليشمل مختلف مجالات الحياة التي تتطلب خبرة علمية ومعرفة دقيقة(٧).

إنَّ الرجوع لذوي الاختصاص يحد من الفوضى الفكرية التي تنشأ عن تصدّر غير المؤهلين للحديث في القضايا العلمية والفكرية الدقيقة، أو التأثير في الرأي العام دون امتلاك أدوات المعرفة والمنهج العلمي السليم، كما يسهم ذلك في توجيه الخلافات الفكرية نحو مسارها الصحيح، من خلال

(١) سورة الحجرات، جزء من الآية ٦.
(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٦/٣١٥.
(٣) ينظر: الأمة والجماعة والسلطة، ١٤٦.
(٤) ينظر: حتى يغيروا ما بأنفسهم، ١٢٧.
(٥) ينظر: أزمة التنظيمات الإسلامية، ١٠٨.
(٦) سورة النحل، جزء من الآية ٤٣.
(٧) ينظر: التحرير والتنوير، ١٤/ ١٩٠.

الاحتكام إلى البحث العلمي والحجة الموضوعية بدلًا من الانطباعات الشخصية والمجادلات غير المنضبطة(١)، لذلك فإن احترام التخصص والرجوع إلى الخبراء يمثلان ركيزة أساسية في إدارة الخلاف الفكري؛ لما لهما من أثر في تعزيز الوعي، وترسيخ ثقافة الحوار، وتحقيق قدر أكبر من الاستقرار الفكري في المجتمعات المعاصرة(٢).

٤.٤.المطلب الرابع: الشورى وبناء التوافقات الفكرية

تمثل الشورى إحدى أهمِّ الوسائل القرآنية المهمة في إدارة الخلافات الفكرية؛ لأنَّها تُعطي مساحة واسعةً للأطراف المختلفة للتعبير عن آرائها والمشاركة في صناعة القرار ضمن إطار من الاحترام المتبادل والمسؤولية المشتركة(٣)، وقد أثنى القرآن الكريم على أمرِ الشورى بقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾(٤)، مما يدل على أنَّ التشاور ليس مجرد إجراء تنظيمي؛ بل قيمة حضارية تسهم في توسيع دائرة المشاركة والاستفادة من تنوع الخبرات والرؤى(٥).

ويمكن لنظام الشورى أن يسهم في تقليل حدة الخلافات الفكرية من خلال إتاحة الفرصة لمناقشة الآراء المختلفة واختبارها وتقويمها بصورة جماعية، إذ تساعد في بناء التوافقات حول القضايا المشتركة دون إلغاء خصوصية الاجتهادات المتنوعة(٦)، وفي ظل ظل تعقيد المشكلات الفكرية والاجتماعية المعاصرة، تزداد الحاجة إلى إحياء هذا تطبيق مبدأ الشورى بوصفه وسيلة لإدارة التعدد الفكري بطريقة تحقق التوازن بين حق الاختلاف ومتطلبات الوحدة والتعاون، وهو ما يجعل الشورى إحدى الركائز الأساسية في بناء ثقافة الحوار والتفاهم داخل المجتمع(٧).

إنَّ المتدبر لنصوص القرآن الكريم يجد أنَّه لم يقتصر على تقرير المبادئ النظرية المنظمة لإدارة الخلاف الفكري؛ بل قدَّم مجموعة من الوسائل العملية التي تكفل تفعيل تلك المبادئ في الواقع، فقد برز الحوار بوصفه الأداة الرئيسة لتقريب وجهات النظر وبناء جسور التواصل بين المختلفين، كما شكَّل التثبت من الأخبار والمعلومات

(١) ينظر: فقه التدين فهماً وتنزيلاً، ١٥١.
(٢) ينظر: إدارة الاختلاف في الفكر الإسلامي، ٨٦.
(٣) ينظر: الثورة والإصلاح السياسي في العالم الإسلامي، ١٧٥.
(٤) سورة الشورى، جزء من الآية ٣٨.
(٥) ينظر: مفاتيح الغيب، ١٦٦/٢٧.
(٦) ينظر: الشورى في معركة البناء، ٦٣.
(٧) ينظر: منهجية التكامل المعرفي، ٩٢.

أساسًا معرفيًا يحول دون نشوء الخلافات القائمة على الشائعات والتصورات الخاطئة، وأسهم الرجوع إلى أهل العلم والخبرة في ترشيد النقاشات الفكرية وضبطها وفق أسس علمية رصينة، مما يحد من الفوضى والاضطراب المعرفي، بينما أدت الشورى دورًا مهمًا في تحقيق التوافق وتعزيز المشاركة في معالجة القضايا المشتركة، وبذلك تتكامل هذه الوسائل لتشكِّل إطارًا عمليًا متوازنًا لإدارة الخلاف الفكري في ضوء المنهج القرآني، بما يسهم في حفظ وحدة المجتمع وترسيخ قيم الحوار والتفاهم والتعاون.

٥.المبحث الرابع: التطبيقات المعاصرة لإدارة الخلاف الفكري في ضوء القرآن الكريم

٥.١.المطلب الأول: مواجهة الاستقطاب الفكري وتعزيز ثقافة التعايش

يعدّ الاستقطاب الفكري[١] من أبرز التحديات التي تواجه المجتمعات المعاصرة؛ إذ يؤدي إلى تقسيم المجتمع إلى تيارات متقابلة تنظر إلى بعضها بوصفها خصومًا، مما يفاقم الانقسامات ويضعف فرص الحوار والتعاون، وفي المقابل يقدّم القرآن الكريم رؤية تقوم على الاعتراف بالتنوع والتعدد بين الناس مع الحفاظ على الروابط الجامعة التي تمنع تحول الاختلاف إلى صراع وعداء[٢]، ومن ثمّ فإن الالتزام بالمبادئ القرآنية في إدارة الخلاف يسهم في ترسيخ ثقافة التعايش والتفاهم، وتعزيز القدرة على إدارة التنوع الفكري في إطار من الاحترام المتبادل والتعاون على المصالح المشتركة[٣].

ولا يعني التعايش في المنظور القرآني إلغاء القناعات أو التنازل عن الثوابت؛ بل يعني الاعتراف بحق الآخرين في الاجتهاد وإبداء الرأي والتعامل معهم وفق مقتضيات العدل والإنصاف، وتزداد أهمية هذا المعنى في ظل اتساع الفضاءات الإعلامية والرقمية التي جعلت المجتمعات أكثر عرضة لحالات الاستقطاب والتوتر الفكري، الأمر الذي يجعل من ثقافة التعايش إحدى الضرورات الحضارية للمحافظة على السلم المجتمعي ووحدة الأمة[٤].

---

(١) الاستقطاب الفكري هو حالة من التمسك الشديد بالأفكار والمعتقدات التي يتبناها الفرد، مع عدم الاستعداد لمناقشة الآراء والأفكار المخالفة أو تقبّلها، الأمر الذي يؤدي إلى تضييق مساحة الحوار وتعميق الانقسام بين الاتجاهات الفكرية المختلفة. ينظر: معجم علم النفس والطب النفسي ١٠٠.

(٢) ينظر: خلافة الإنسان بين الوحي والعقل١٢٦.

(٣) بنظر: الأمة والجماعة والسلطة، ١٥٦.

(٤) بنظر: محمد عمارة، حوار لا مواجهة، ٧٦.

٢.٥.المطلب الثاني: الحد من التعصب الفكري وبناء الوعي النقدي

إنَّ من أخطر العوائق التي تحول دون الإدارة الرشيدة للخلاف هو التعصب الفكري؛ لأنَّه يدفع صاحبه إلى الانتصار لرأيه أو لجماعته دون نظر موضوعي في الأدلة أو الحجج المخالفة، وقد كشف القرآن الكريم عن الآثار السلبية للتعصب حين ربطه باتباع الهوى والجمود على المألوف وتقليد الآباء دون بصيرة(١)، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾(٢)، وهذا النقد القرآني لهذه الظاهرة السلبية يؤسس لمنهج يقوم على تحرير العقل من سلطان التقليد الأعمى وربط المواقف بالدليل والحجة لا بالأشخاص والانتماءات(٣).

وإنَّ إدارة الخلاف الفكري في ضوء القرآن الكريم ينتج بناء وعي نقدي قادر على التمييز بين الأفكار وتقويمها بعيدًا عن الانفعال والتعصب، كما يساعد على تنمية ثقافة المراجعة الذاتية وقبول التصحيح والاعتراف بالخطأ(٤)، وهي قيم تمثل أساسًا لأيّ نهضة فكرية أو حضارية تسعى إلى تجاوز الأزمات وإنتاج حلول واقعية للمشكلات المعاصرة(٥).

٣.٥.المطلب الثالث: توظيف إدارة الخلاف الفكري في تعزيز الوحدة المجتمعية

تواجه المجتمعات الإسلامية في العصر الحاضر تحديات متعددة تتعلق بالانقسامات المذهبية والفكرية والسياسية، وهذه الانقسامات لها أثر بالغٌ في إضعاف قدرتها على مواجهة المشكلات الداخلية والخارجية، لذلك برزت الحاجة إلى استثمار المنهج القرآني في إدارة الخلاف بوصفه إطارًا جامعًا يساعد على المحافظة على وحدة المجتمع رغم استمرار بعض أوجه التباين بين مكوناته(٦)، فالقرآن الكريم لا يطالب الناس بالتخلي عن اجتهاداتهم أو رؤاهم المختلفة، وإنما يدعوهم إلى جعل المصالح العليا والقيم المشتركة أساسًا للتعاون والعمل الجماعي(٧).

وتكشف الخبرة التاريخية للأمة الإسلامية أنَّ أوقات القوة والازدهار ارتبطت غالبًا بقدرتها على استيعاب التنوع الفكري

(١) بنظر: حتى يغيروا ما بأنفسهم، ١٣٦.
(٢) سورة الزخرف، جزء من الآية ٢٣.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ١٢٦/٢٥.
(٤) ينظر: الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، ١١٨.
(٥) ينظر: الثورة والإصلاح السياسي في العالم الإسلامي، ١٨٦.
(٦) ينظر: إدارة الاختلاف في الفكر الإسلامي، ١٠١.
(٧) ينظر: الموافقات، ٤/ ٢٢٥.

ضمن إطار الوحدة العامة، في حين ارتبطت فترات الضعف بتفاقم النزاعات الداخلية وتحول الخلافات الفكرية إلى صراعات تستنزف الطاقات والموارد، لذلك فإنَّ ترسيخ ثقافة إدارة الخلاف يسهم في تعزيز التماسك المجتمعي ويحد من الآثار السلبية للصراعات الفكرية التي تهدد الاستقرار والتنمية(١).

٤.٥.المطلب الرابع: بناء رؤية حضارية معاصرة لإدارة الخلاف الفكري

إنَّ أثر المنهج القرآني في إدارة الخلاف الفكري لا يقتصر على معالجة الإشكالات والخلافات القائمة؛ بل يتجاوز ذلك إلى الإسهام في بناء رؤية حضارية شاملة تمكّن المجتمعات من التعامل مع التحديات الفكرية والثقافية المتجددة(٢)، ففي ظل التحولات المعرفية المتسارعة والانفتاح الثقافي الواسع الذي يشهده العالم المعاصر، أصبحت إدارة الخلاف ضرورة حضارية تسهم في تعزيز التفاهم والتعاون، وتحافظ في الوقت نفسه على التوازن والاستقرار المجتمعي(٣).

ومِن تتبع المبادئ والآليات التي رسمها القرآن الكريم يمكن بناء ثقافة فكرية راسخة تجمع بين المحافظة على الثوابت والانفتاح الواعي على المستجدات، وبين صيانة الهوية واحترام التنوع، وبين حرية الاجتهاد ومتطلبات الوحدة المجتمعية(٤)، وتمثل هذه الرؤية أساسًا مهمًا في تجديد الفكر الإسلامي المعاصر، وتمكينه من الإسهام الفاعل في معالجة القضايا الإنسانية الراهنة، بعيدًا عن الانغلاق الذي يرفض الاختلاف، أو الانفلات الذي يفضي إلى فقدان الخصوصية الحضارية للأمة(٥).

إنَّ المتأملَ في المنهج القرآني في إدارة الخلاف الفكري يجد أنَّه يمتلك قدرة كبيرة على الإسهام في معالجة كثير من الإشكالات الفكرية التي تواجه المجتمعات المعاصرة، وأنَّ تطبيق هذا المنهج يسهم في الحد من الاستقطاب والتعصب، ويعزز ثقافة الحوار والتعايش، ويساعد على بناء وعي نقدي أكثر توازنًا، كما يدعم الوحدة المجتمعية من خلال استيعاب التنوع الفكري ضمن إطار من القيم المشتركة، وأنَّ إدارة الخلاف الفكري ليست مجرد معالجة لنزاع قائم؛ بل هي مشروع حضاري متكامل يسهم في بناء مجتمع أكثر قدرة على التفاهم والتجدد ومواجهة التحديات المعاصرة.

٦.الخاتمة

خلصت الدراسة إلى أن الخلاف الفكري يمثل سنة إنسانية أقرها القرآن الكريم

(١) ينظر: الاختلاف في الثقافة الإسلامية، ٩٣.
(٢) ينظر: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ٥٥.
(٣) ينظر: منهجية التكامل المعرفي، ١٠٦.
(٤) ينظر: العالمية الإسلامية الثانية، ٢١٩.
(٥) ينظر: مشاهد من المقاصد، ٢٣٨.

وتعامل معها بوصفها واقعًا لا يمكن إلغاؤه، وإنما يمكن ترشيده وضبطه بمنظومة من المبادئ والقيم. وقد بينت الدراسة أن المنهج القرآني أقام إدارة الخلاف الفكري على أسس المرجعية إلى الوحي، والعدل والإنصاف، والحوار، والمحافظة على وحدة الأمة، كما قدم وسائل عملية تسهم في توجيه الخلاف نحو البناء والإصلاح بدل التنازع والانقسام. وتؤكد هذه الرؤية قدرة المنهج القرآني على الإسهام في معالجة كثير من الإشكالات الفكرية المعاصرة وتعزيز ثقافة التعايش والتكامل الحضاري.

النتائج

١. الخلاف الفكري ظاهرة إنسانية وسنة اجتماعية أقرها القرآن الكريم، وتعامل معها بوصفها واقعًا ملازمًا لطبيعة البشر وتفاوت مداركهم وقدراتهم الفكرية.

٢. يميز القرآن الكريم بين الخلاف المشروع القائم على الاجتهاد وطلب الحق، والخلاف غير المشروع القائم على البغي والتعصب واتباع الهوى، وجعل معيار التمييز بينهما مرتبطًا بالدوافع والآثار والالتزام بالقيم الشرعية.

٣. تقوم إدارة الخلاف الفكري في القرآن الكريم على جملة من المبادئ الحاكمة، أبرزها المرجعية إلى الوحي، والعدل والإنصاف، والحوار، والمحافظة على وحدة الأمة مع احترام التنوع المشروع.

٤. اعتمد القرآن الكريم وسائل عملية لترشيد الخلاف الفكري، من أهمها الحوار، والتثبت من المعلومات، والرجوع إلى أهل العلم والخبرة، واعتماد الشورى في معالجة القضايا المشتركة.

٥. يسهم المنهج القرآني في الحد من مظاهر التنازع والتفرق والتعصب الفكري، ويوجه الخلاف نحو التعاون والتكامل والإثراء المعرفي والحضاري.

٦. تمثل إدارة الخلاف الفكري في ضوء القرآن الكريم مدخلًا فاعلًا لمعالجة كثير من الإشكالات الفكرية المعاصرة، ولا سيما ظواهر الاستقطاب والإقصاء والتشدد الفكري.

٧. يؤسس المنهج القرآني لرؤية حضارية متوازنة تجمع بين المحافظة على الثوابت الشرعية والانفتاح الواعي على التنوع والاجتهاد، بما يسهم في تعزيز وحدة الأمة وقدرتها على مواجهة التحديات المعاصرة.

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.

١. الاختلاف في الثقافة الإسلامية، لأحمد الريسوني، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.

٢. إدارة الاختلاف في الفكر الإسلامي لإبراهيم البيومي غانم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.

٣. أدب الاختلاف في الإسلام، لطه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

٤. أزمة التنظيمات الإسلامية، لمحمد سليم العوا، دار الشروق، القاهرة.

٥. أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، لمحمد عمارة، دار الشروق، القاهرة.

٦. الإسلام والتعددية، لمحمد عمارة، دار الشروق، القاهرة.

٧. الأمة والجماعة والسلطة، لرضوان السيد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.

٨. تجديد الوعي، لعبد الكريم بكار، دار القلم، دمشق.

٩. التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس.

١٠. التعريفات الفقهية لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

١١. التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٢. الثورة والإصلاح السياسي في العالم الإسلامي، لعبد الوهاب الأفندي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

١٣. الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة.

١٤. حتى يغيروا ما بأنفسهم، لجودت سعيد، دار الفكر، دمشق.

١٥. الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، لطه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

١٦. الحوار أصوله ومناهجه وآدابه، لعبد الكريم بكار، دار القلم، دمشق.

١٧. حوار لا مواجهة، لمحمد عمارة، دار الشروق، القاهرة.

١٨. خلافة الإنسان بين الوحي والعقل لعبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

١٩. الشورى في معركة البناء، لأحمد الريسوني ، دار الكلمة، القاهرة.

٢٠. العالمية الإسلامية الثانية، لمحمد أبو القاسم حاج حمد، دار الهادي، بيروت.

٢١. عبد الله بن بيه، مشاهد من المقاصد، دار الوجوه، الرياض.

٢٢. فقه التدين فهماً وتنزيلاً، لعبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٢٣. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

٢٤. في النظام السياسي للدولة الإسلامية، لمحمد سليم العوا، دار الشروق، القاهرة.

٢٥. لسان العرب ابن منظورلابن منظــور، دار صادر، بيروت.

٢٦. مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق.

٢٧. معجم علــم الــنفس والطــب النفســي (إنجليزي–عربي)، عبد الحميــد جــابر، وعــلاء الــدين كفــافي، دار النهضــة العربية، القاهرة.

٢٨. مفاتيح الغيب لفخر الدين الــرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٩. المفردات في غريب القرآن، للراغــب الأصفهاني، ، دار القلم، دمشق.

٣٠. مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبــد السلام هارون، دار الفكر، بيروت.

٣١. منهجيــة التكامــل المعرفــي، لفتحــي ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمّان.

٣٢. الموافقات، لإبراهيم بن موسى الشاطبي، دار ابن عفان، السعودية.

٣٣. الصحوة الإســلامية بــين الاخــتلاف المشروع والتفرق المــذموم، ليوســف القرضاوي.

٣٤. أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، لبكر أبو زيد.

References

1. Al-Raysuni, Ahmad. Difference in Islamic Culture. Arab Network for Research and Publishing, Beirut.
2. Ghanem, Ibrahim Al-Bayoumi. Managing Disagreement in Islamic Thought. Al-Shorouk International Library, Cairo.
3. Al-Alwani, Taha Jabir. The Ethics of Disagreement in Islam. International Institute of Islamic Thought.
4. Al-Awa, Muhammad Salim. The Crisis of Islamic Organizations. Dar Al-Shorouk, Cairo.
5. Imarah, Muhammad. The Crisis of Contemporary Islamic Thought. Dar Al-Shorouk, Cairo.
6. Imarah, Muhammad. Islam and Pluralism. Dar Al-Shorouk, Cairo.
7. Al-Sayyid, Radwan. The Ummah, Community, and Authority. Arab Network for Research and Publishing, Beirut.
8. Bakkar, Abd al-Karim. Renewing Awareness. Dar Al-Qalam, Damascus.
9. Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir. Al-Tahrir wa al-Tanwir (Liberation and Enlightenment). Tunisian Publishing House, Tunis.

Reason. Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut.

19. Al-Raysuni, Ahmad. Shura in the Battle of Construction and Development. Dar Al-Kalimah, Cairo.

20. Haj Hamad, Muhammad Abu Al-Qasim. The Second Islamic Universality. Dar Al-Hadi, Beirut.

21. Bin Bayyah, Abdullah. Scenes from the Objectives of Islamic Law (Maqasid). Dar Al-Wujuh, Riyadh.

22. Al-Najjar, Abd al-Majid. Understanding and Applying Religious Practice. Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut.

23. Abd al-Rahman, Taha. On the Foundations of Dialogue and the Renewal of Kalam Theology. Arab Cultural Center, Casablanca.

24. Al-Awa, Muhammad Salim. The Political System of the Islamic State. Dar Al-Shorouk, Cairo.

25. Ibn Manzur. Lisan al-Arab (The Tongue of the Arabs). Dar Sadir, Beirut.

26. Bennabi, Malik. The Problem of Ideas in the Muslim World. Dar Al-Fikr, Damascus.

27. Jaber, Abd al-Hamid, and Alaa al-Din Kafafi. Dictionary of Psychology and Psychiatry (English–

10. Al-Barkati, Muhammad Amim al-Ihsan. Juristic Definitions. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut.

11. Al-Jurjani, Ali ibn Muhammad. Al-Ta‘rifat (Definitions). Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut.

12. Al-Afandi, Abd al-Wahhab. Revolution and Political Reform in the Islamic World. Center for Arab Unity Studies, Beirut.

13. Al-Qurtubi, Muhammad ibn Ahmad. Al-Jami‘ li Ahkam al-Qur’an (The Comprehensive Collection of Qur’anic Rulings). Dar Al-Kutub Al-Misriyyah, Cairo.

14. Sa‘id, Jawdat. Until They Change What Is Within Themselves. Dar Al-Fikr, Damascus.

15. Abd al-Rahman, Taha. The Arab Right to Philosophical Difference. Arab Cultural Center, Casablanca.

16. Bakkar, Abd al-Karim. Dialogue: Its Principles, Methodologies, and Ethics. Dar Al-Qalam, Damascus.

17. Imarah, Muhammad. Dialogue, Not Confrontation. Dar Al-Shorouk, Cairo.

18. Al-Najjar, Abd al-Majid. The Human Vicegerency between Revelation and

Arabic). Dar Al-Nahda Al-Arabiyya, Cairo.

28. Al-Razi, Fakhr al-Din. Mafatih al-Ghayb (Keys to the Unseen). Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut.
29. Al-Isfahani, Al-Raghib. Al-Mufradat fi Gharib al-Qur'an (Vocabulary of the Qur'an). Dar Al-Qalam, Damascus.
30. Ibn Faris. Maqayis al-Lughah (Measures of Language), edited by Abd al-Salam Harun. Dar Al-Fikr, Beirut.
31. Malkawi, Fathi. Methodology of Knowledge Integration. International Institute of Islamic Thought, Amman.
32. Al-Shatibi, Ibrahim ibn Musa. Al-Muwafaqat. Dar Ibn Affan, Saudi Arabia.
33. Al-Qaradawi, Yusuf. The Islamic Awakening between Legitimate Disagreement and Blameworthy Division.
34. Abu Zayd, Bakr. The Ethics of Disagreement in Matters of Knowledge and Religion.